الجمهوريـة الجزائريـة الدّيمقراطيـة الشّعبيـة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الرحمن ميرة -بجاية
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس: الأسلوبية وتحليل الخطاب

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس (LMD)

إعـداد الدّكتورة:
ســارة قطـاف

الموسم الدراسي:2023/2022

▪**ملحوظة:** لا تطبع هذه المحاضرات إلا لمن يطلبها. يمنع طبعها بكميات وبيعها في المكتبات الخارجية.

المحاضرة الأولى:

الأسلوب والأسلوبيـــــة

أولا- مفهوم الأسلوب

من الفعل سلب، وفي لسان العرب: (يقال للسطر من النخيل وكلّ طريق ممتدٍ أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب. يقال أنتم في أسلوب سوء...والأسلوب: الفن، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه، وإنّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا)[1].

وفي **أساس البلاغة للزمخشري** :(سلكت أسلوب فلان : طريقه وكلامه على أساليب حسنة)[2].

وهو عند **ابن خلدون** في مقدمته :(عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي وظيفته البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما تستعمله العرب فيه، الذي وظيفته العروض، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة عليه باعتبار انطباقها على تراكيب خاصة)[3].

فالأسلوب عند **ابن خلدون** قالبٌ ذهني تنصبُّ فيه التراكيب اللغوية، أو هو صورة ذهنية للتراكيب يُخرجها الخيال في قالب ومنوال معين.

وتتنوع الأساليب بتنوع الموضوعات، ذلك أنّ لكل فن من الكلام أساليب تختصُّ به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة، فللنثر أسلوبه وللشعر كذلك.

أيضا من التعاريف نجد تعريف أحمد الشايب :(الأسلوب هو طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الايضاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه)[4].

الأسلوب، بهذا ، منحى الكاتب العام أو الشاعر، وطريقة التأليف والتعبير، والنظم والتفكير والإحساس على السواء .

تعاريف أخرى:

-مفارقة (departure) أو انحراف (deviation) عن أنموذج آخر من القول يُنظر إليه على أنه معيار أو نمط (norm).

- اختيار (choice) أو انتقاء (selection) يقوم به المنشئ لسمات لغوية بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة. ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به من غيره من المنشئين.

إنّ هذين التعريفين يثيران العديد من الاشكالات النظرية أو المنهجية:

---

[1] لسان العرب، 471/1- 473 (مادة : سلب)

[2] أساس البلاغة، ص478.

[3] المقدمة، 647/1.

[4] أحمد الشايب، الأسلوبية دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص44.

أولهما يقتضي معرفةً بخصائص التعبير الأصيل أو النمطي أو المعتاد ، ليكون في الامكان قياس التعبير المعدول إليه. وهو أمر لا يمكن أن يكون موضع اتفاق أو إجماع .(إنّ القول بأن الأسلوب هو تعبيرٌ جاء على الأصل غير معدول هو خِلو من الجمال ، وليس ذلك صحيحا).

وآخرهما يلزمنا بمعرفة قائمة الأبدال المتاحة ، تلك التي يُعمل المنشئ فيها فكره بالاختيار أو الاستبعاد.

السؤال الأساس هنا: هل لمثل هذه القائمة وجود بالفعل ؟ثم ماذا عن طبيعة الاختيار: عن وعي وقصد من قِبل المنشئ؟ أم ليس لهذا الأخير إرادة وسيطرة عليه؟

إن اعتبار الأسلوب اختيارا من لدن المنشئ لا يعني أنّ كل اختيار لا بد أن يكون أسلوبيا، إذ علينا أن نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بسياق المقام (context of situation)، وهو انتقاء نفعي مقامي (pragmayic selection)، والآخر: اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة.

(الإشكال هنا أنّ الاختيار أمر يفترض أن يقوم به المنشئ على جميع مستويات التواصل بدرجات متفاوتة، ومن ثَمّ فهو ليس محض اختيار لغوي ، بل هو محكوم من جهة بإمكانات المقال ، ومن جهة أخرى بمقتضيات المقام ؛ التي هي : مصدر الخطاب ، القصد من الخطاب، موضوعه، وسيلة الابلاغ، جنس الخطاب، العلاقة بين مصدر الخطاب والمقصود منه، الحضور الذهني أو العيني للمخاطَب ، المسرح الذي تجري فيه وقائع الخطاب...إلخ.).

والأسلوب عند الدارسين الغربيين يطلق على كل ما له علاقة بطريقة الكتابة، ووسائلها، إلا أنهم يربطونه بصاحبه، فالأسلوب هو الأنسان نفسه، والذي لا يمكن نقله، أو اقتباسه أو تبديله.

وفي عبارة **بيفون** المشهورة تأييد لهذه الفكرة، يقول:(**الأسلوب هو الرجل نفسه**)[1]، وهذا يعني أنه تعبيرٌ عن شخصية الكاتب/ المرسل وعقليته وتوجهه الفكري.

ثانيا- الأسلوبية

بانتقالنا من مفهوم الأسلوب إلى مفهوم الأسلوبية سنجد أن مصطلح الأسلوب (le style) أسبق من الناحية التاريخية من الأسلوبية، فقد بدأ استعماله منذ القرن الخامس عشر، في حين لم يظهر مصطلح الأسلوبية (stylistique) إلا في بداية القرن العشرين.

يُعرف علم الأسلوب في اللغة الانجليزية بـ(stylistics)، وفي اللغة الفرنسية بـ(stylistique)، والباحث الأسلوبي بـ (stylistian)، وكل هذه المترادفات مأخوذة من الكلمة اللاتينية (stylas)، بمعنى عود الصلب الذي يستخدم في الكتابة، ثم انتقلت للتعبير عن طريقة أداء الكاتب.

وإذا حاولنا تتبع الجذور التاريخية للأسلوبية فإنه لا يمكننا تحديد تاريخ دقيق لمولد الأسلوبية، فهناك من يرى أنّ أول من أطلق هذا المصطلح كان 'فون بلنتش" سنة 1875، أطلقه على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية .

[1] هنريش بليث البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص33.

بيدَ أنّ الميلاد الحقيقي للأسلوبية في نظر أغلب الباحثين الغربيين يعود إلى بدايات القرن العشرين ، مع تلميذ **دي سوسير** الألسني السويسري **شارل بالي** (charles bally) (1865-1947)، الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد "**مبحث في الأسلوبية الفرنسية**" سنة 1909.

وقد حددت الأسلوبية بتعاريفات عدّة، يقترب بعضها ، ويتباين بعضها الآخر، وذلك انطلاقا من الزاوية التي ينطلق منها كل دارس للأسلوب. وهي في عمومها لا تخرج عن كونها تعتمد أحد عناصر الخطاب الثلاثة: المرسل(المنشئ)، أو الرسالة (الخطاب أو النص)، أو المرسل إليه (المتلقي أو القارئ).

والأسلوبية (علم الأسلوب) علمٌ لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تمنحُ الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، وتميزه عن غيره، فهي تعالج الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية، وإن كانت تعتمد على قاعدة نظرية لسانية أو سيميائية أو شعرية، إلا أنها في الأخير تحليل لخطاب من نوع خاص.

فالتحليل الأسلوبي للنص عند **ميشيل ريفاتير**- (الباحث الألسني والناقد البنيوي الأمريكي/ صاحب كتاب" الأسلوبية البنيوية"1971، وكتاب "صناعة النص " 1979) – فهو الذي يضع يدي المحلل على" **أدبية** " النص الأدبي، حيث ينطلق من النص الذي هو صرحٌ مكتمل ينبغي تتبع سمة الفردية فيه، و هذه السمة الفردية هي الأسلوب، وهي بالتالي "**أدبية** " النص.

(الظاهرة الأدبية عند-ريفاتير- ليست النص فحسب، بل هي القارئ أيضا، وردود فعله إزاء النص ،ولهذا ركّز على النص وسلطته على القارئ الذي ليست له الحرية في التأويل، وإنما الطواعية للنص. وبهذا يختلف التحليل الأسلوبي الذي يعتمده ريفاتير عن التحليل البنيوي الذي يفترض بنية كبرى للنص، ثم بنيات صغرى، تقوم بينها علاقات)

ويمكن القول أنّ الأسلوبية تعني بشكل من الأشكال التحليل اللغوي لبنية النص، وأنها فرعٌ من فروع اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكُتاب في السياقات الأدبية وغير الأدبية.

وتهدفُ إلى أن تكون علما تحليليا تجريديا ينشد إدراك الموضوعية في حدود عقلانية. كما تبحث الأسلوبية عما يميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب، ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية، إذ تعنى بدراسة الخطاب اللغوي التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداة تأثير فني.

ويرى **نور الدين السد** أن **عبد السلام المسدي** كان السبّاق إلى نقل هذا المصطلح وترويجه بين الباحثين العرب، مترجما إياه إلى (stylistique): الأسلوبية، ويردُ عنه أحيانا بعلم الأسلوب.

ويرى **صلاح فضل** أننا بحاجة إلى تأصيل مصطلح علم الأسلوب في الدراسات العربية لكي نستحصد أدواته ونجرب مناهجه ونُكيّفها مع عبقرية اللغة العربية لاستكشاف قدراتها على استثمار العناصر الجمالية في الرسالة اللغوية ، مما يجعلنا نؤثر المصطلح المستقر علميا، وندخل في نطاقه البحوث التي تصب فيه نهاية الأمر، وإن وردت في بعض الدراسات الحديثة تحت مصطلح آخر.

ثالثا-علمية الأسلوبية

لقد مهّد اتصال الأسلوبية بعلوم اللسان الحديثة الطريق أمامها لتنهل من علميتها؛ وذلك بتناول طُرق علمية تستخدم في انتاج الخطاب وتحليله ،وإدراك أسراره ، لتتعدى مجرد تأثير الحديث في الجماهير، فالأسلوبية محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لفتها لإدراك علاقته الداخلية ، وللكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية ، وهي تنحو منحى علميا من حيث أن معطيات موضوعها تتمحور حول مادة مجردة هي اللغة.

فمفهوما التجريد والتنظيم التقني هذان اللذان يميزان العلم، نلمسهما إذا تأملنا العلاقات الأسلوبية جيدا ، فهي تقوم على أساس دراسة الأسلوب أو دراسة الابداع الفردي ، وتصنيف الظواهر الناجمة ، وتتبع الملامح المنبثقة ، حتى إذا بلغت عملية التصنيف درجة محددة في التجريد الذي يسمحُ برصد أشكال التعبير وقوانينه العامّة المستخلصة من البحوث التجريبية المتوافقة أو المتخالفة مع ما استقرّ في الوعي النقدي من معطيات ، بدأت تتحسس الاتساق والانتظام المعرفي والتقني فيها .

فهي تتعامل مع الخطاب قبل ولادته (باستخدام خلاصات دراساتها للخطاب) وبعدها، فوجودها سابق لوجود الأثر الأدبي وتالٍ عليه ، وهي لا تنطلق في بحثها من قوانين سابقة، أو افتراضات جاهزة، إذ لا تستند في حكمها إلى معايير، ومقاييس معينة في صورة مسلّمات... الأسلوبية هي علم يدرس المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي[1].

فالأسلوبية وإن تحركت في مجال اكتشاف الخصائص الفردية المكونة للنص فهي تسعى إلى اكتشاف قوانين النص الذي تتعامل معه، وهي قوانين وإن كانت تُصور استخدامات فردية إلا أنها مستمدة من نظام عامّ تنتظمه قوانين عامة. فالاستخدامات الفردية تتبع في سيرها تلك القواني العامة المكتشفة أصلا .وإنّا اذ نظرنا إلى الأسلوبية وجدنا أنها تسعى في أحد ميادينها، وهو (علم الأسلوب العام) إلى تقديم قوانين عامة للاستخدام اللغوي، وهو في مثل تقديمه لمثل هذه القوانين إنما ينطلق من حالات فردية تتجلى فيها سُبل الاستخدام الخاص للغة .

وعن علمية الأسلوبية يرى **المسدي** أن التفاعل مع العقلنة التدريجية التي شهدتها العلوم الألسنية عامة والتفاعل مع مناهج البحث المعاصر المستمدة من الالهام العلماني قد أكسب الأسلوبية مشروعية العلم .

إذن علمية الأسلوبية قد جاءت بسبب تطور نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة، وميل ونزوع العلوم اللسانية إلى العقلنة والعلمانية .

ويذهب المذهب نفسه **سعد مصلوح** إذ يميل إلى اعتبار الأسلوبية علما، بل ويتفرع عنده إلى علوم، مثل علم الأسلوب التأثيري، وعلم الأسلوب الموضوعي .

ويشير صلاح فضل في كتابيه (علم الأسلوب) و(بلاغة الخطاب وعلم النص) إلى علمية الأسلوبية أيضا، ويضاف إلى ذلك أنّ المنظر الأول للأسلوبية "بالي" يراها علما قائما بذاته .

ويضعُ الأسلوبية في الزاوية ذاتها التي ذكرنا كلٌّ من "**ماروزو** و**كراسو**" حيث نادى كل منهما بشرعية الأسلوبية، وعدّاها علماً له مقوماته وأدواته الإجرائية وموضوعه، ودَعَم هذا الرأي **جاكبسون و ميشال ريفاتير وستيفن أولمان وباختين وهنريش بليث وسواهم، من مثل عبد القادر المهيري وستاروبنسكي وطه وادي ونور الدين السدّ وعبده الراجحي وبرند شبلنر**

[1] رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، ص55.

وفريد هوسن هولن وأحمد درويش وعدنان بن ذريل وشكري عياد وبيير جيرو ومنذر عياشي ومازن الوعر ورنيه ويلك وأستن وارين ومحمد عبد المطلب.

وقد كانت عناوين من كتب في هذا المجال تحمل كلمة "علم " للفت النظر والانتباه، ولتوجيه الأذهان إلى هذه المنهجية العلمية. نذكر مثلا: علم الأسلوب لصلاح فضل، "مدخل إلى علم الأسلوب واللغة والابداع "و"مبادئ علم الأسلوب العربي" و"البلاغة العربية وعلم الأسلوب " لشكري عياد.

ومن الرافضين لعلمية الأسلوبية **كمال أبو ديب،** الذي يدعو إلى نزع العلمية من الأسلوبية، معتبراً أنّ القول بعلمية الأسلوبية، ومحاولة اكتشاف الخصائص الفردية في كل كيان لغوي يشكلان أمرا يصعب التوحيد بينهما...ويحدد كمال أبو ديب غاية العلم بسعيه إلى اكتشاف سلسلة من القوانين التي تحكم المادة موضوع العلم .

كذلك يقول جوزيف ميشال: (ولا تصبح الأسلوبية علما لاقتباسها من علوم أخرى كالألسنية والاحصائية). نرد عليه بالقول إن مسيرة التجارب العلمية، وطبيعة تكوّن العلوم تنفي ذلك، فعلم الفيزياء علمٌ مستقل غير أنه يستفيد من علم الرياضيات ويعتمد عليه، وينهل من عم الكيمياء والأحياء كذلك. وعليه لا مانع للأسلوبية من الاستفادة من علم الأصوات ودراسة الألفاظ والنحو المعياري والنحو التاريخي، بل إنه يستعين كذلك بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال والبلاغة الجديدة.

فليس على دارس الأسلوب أن يأخذ موقفا معياريا من هذه العلوم المجاورة ، بل عليه أن يأخذ منها ما يناسب مهامه فيما يتعلق بدراسة الأساليب. وعلى العموم صار ما يسمى بتداخل العلوم "interdisciplinarité" حقيقة ثابتة وملموسة، خاصة في مجال الدراسات اللغوية.

ومن المعارضين كذلك **رجاء عيد** الذي يرى أن احصاءات الأسلوبية زبدٌ، (لأننا نتذوق النص بصورته الكلية الشاملة ، وفي استمرارنا في قراءته ندرك حدسا، ونقنعُ وُجدانا بعمله متأثرين شعوريا ولا شعوريا بوسائله الفنية التي لا تحتاج إلى إثبات عددي)[1].

إنّ هذه الاحصاءات ليست زبداً، ولا أعداداً لا معنى لها، ذلك أنها خطوة داعمة أولى يتبعها خطوات من الشرح والتحليل والفحص، وليست هي الهدف. كما أننا ننكر قدرتنا على التمييز بين جوين درجتهما متقاربة دون مقياس، والأمر نفسه ينطبق على الأدب، إذ كيف لنا دون مقياس التمييز بين ظاهرتين أدبيتين الفرق بينهما دقيق. أضف إلى ذلك أنّ اللاخبراء في الأدب يحتاجون إلى مقياس يسيرون عليه لكشف الظواهر الأدبية التي يحتاجون إلى إبرازها خاصة تلك التي لا يلمحها إلا الخبراء نظرا لطول عهدهم بالأدب.

والأسلوبية عند **غريماس** و**كورتيس** ليست إلا(حقلا من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي، ولكونها استندت تارة إلى اللسانيات، وطورا إلى الدراسات الأدبية، فإنّ الأسلوبية لم تنجح في أن تُنظم نفسها داخل علمٍ مستقل)[2].

---

[1] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة و تراث، ص183. ويشبه ذلك حسب قول جراهام : أننا نشعر بأن الجو بارد من غير أن نحتاج إلى التأكد أو أن نستشير مقياس الحرارة .

[2] نور الدين السد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص19.

رغم ما قدّمه الباحثان غريماس وكورتيس في مجال الدراسات الأدبية والسيميوطيقية إلا أن نفي العلمية عن الأسلوبية لا يستند إلى دليل علمي مقنع، فالأسلوبية استفادت من الحقول المعرفية، وبخاصة من اللسانيات، ولكنها استطاعت أن تُحدّد شروط استقلالها علماً قائماً بذاته لدراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار.

رابعا- شمولية الأسلوبية

يتسع مجال الاسلوبية وفائدتها لتدرس الخطاب الأدبي من النواحي كلها دون أن تهمل شيئا من متعلقاته، درسته من حيث مستويات التحليل اللساني: النحوي والصرفي والصوتي والمعجمي وغيرها، ومن حيث تركيب الخطاب اللغوي جميعه، وتحليله، في مستويات متنوعة: الصوت والكلمة والجملة والفقرة والنص والخطاب.

وربما يكون هذا الشمول هو نفسه الذي أدى في النهاية إلى تنحية البلاغة[1] جانبا لتصبح جزءا صغيرا لكنه مهم في سياق الأسلوبية العام ، فقصور البلاغة وجمودها وعدم تجاوزها بعض الاشكالات المعرفية أتاح للأسلوبية أن تكون البديل ، إذ لم يتبين للبلاغة بالضرورة دراسة الهيكل البنائي للعمل الأدبي ، وكان ذلك تمهيدا لحلول الأسلوبية في مجال الابداع بديلا يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة ، وإقامة بناء عملي يبعد عن الشكلية البلاغية ، والمصطلحات البلاغية التي أرهقت النصوص وغطّت على قيمها الجمالية.

وبهاتين الميزتين المهمتين قامت الأسلوبية علما ألسنيا حديثا، ولما استقرّت قواعده ومناهجه ضمَّ البلاغة في لوائه ، وعدّها أداة مهمة، حتى صارت الأسلوبية –بتعبير صلاح فضل– (بلاغة حديثة ذاتُ شكلٍ مضاعف أو مزدوج: إذ هي علم التعبير، وهي نقد الأساليب الفردية، ومن ثمة فهي فنٌ للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت نفسه، وهي أيضا أداة نقدية تُستخدم في تقويم فن كبار الكُتاب)[2].

ويشير هذا إلى أن الأسلوبية لا تعني القطيعة الكاملة مع التراث البلاغي، فأسلوبية التعبير عند شارب بالي مثلا تنبع من البلاغة القديمة ، وإن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة ، كما انّ كثيرا من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور والأشكال التعبيرية ما زالت مصدراً جديراً بأن يؤخذ بالاعتبار. كما نجد جملة من الملاحظات والتعريفات لا يمكن لأي باحث أسلوبي تجاوزها أو اهمالها، وقد حافظ جاكبسون على العديد من المصطلحات والمفاهيم من التراث البلاغي القديم كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، ليفسرها في ضوء مبادئ علم اللغة الحديث، ويوضح كيفية توظيفها الفني في الأدب، الأمر الذي يجعل المادة التصنيفية الهائلة التي تركها الأقدمون صالحة للاستعمال لزمن طويل.

---

[1] أكد كثير من الأسلوبيين العلاقة الوشيجة بين البلاغة والأسلوبية ، فبيير جيرو يؤمن بأن الأسلوبية وريثة البلاغة ، وهي بلاغة حديثة ، ذات شكل مضاعف ، إنها علم التعبير ونقد الأساليب الفردية (كتاب الأسلوب والأسلوبية، ص5). أما شكري عياد فيقول في مدخل كتابه (مدخل إلى علم الأسلوب) : (ولكنني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة ، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا ، لأنّ أصوله ترجع إلى علوم البلاغة) ، ص7.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ص131-134.